﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [آل عمران: 74]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرّد عـلى مكر اليهود، بتأكيد أنّما أوتيه النّبيّ ﷺ، هو فيضُ رحمةٍ وفضل

بعد ردّه على كيد اليهود الماكر، وتأكيده أنّ الهدى هدى الله، وأنّه يؤتي فضله من يشاء، جيءَ بالآيةِ الكريمة تعريضًا مِن الله – تَعالى ذِكْرُهُ – بأَهلِ الكتاب؛ أنَّ الَّذي آتى نَبيَّه محمَّدًا ﷺ والمؤمنين به من الهداية، تَفضُّلٌ مِنه، وأنَّ نِعَمَه لا تُدرك بالأماني، ولكنَّها مواهبُ مِنه يختصُّ بها من يشاءُ من خَلْقِه[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخۡتَصُّ﴾: يقال: خصّه بالشّيء، ويقال: اختصّ فلان بالأمر وتخصّص له، إذا انفرد، وخصّ غيره واختصّه ببرّه، ويقال: فلانٌ مُخِصٌّ بفلان، أي خاصّ به وله به خصيّة؛ فأمّا قول أبي زبيد:

إِنَّ امْرأً خَصَّنِي عَمْدًا مَوَدّتَهُ ***عَلَى التَّنَائِي، لَعِنْدِي غَيْرُ مَكْفُورِ

فهو إمّا يريد: (خصّني بمودّته)، فحذف الحرف وأوصل الفعل، وقد يجوز أن يريد (خصّني لمودّته إيّاي)، قال ابن سيده: وإنّما وجهناه على هذين الوجهين، لأنّا لم نسمع في الكلام (خصصته) متعديّة إلى مفعولين"[2]. التَّخصيصُ، والاختصاصُ، والخُصوصيَّة، والتَّخصُّص: تَفرُّد بعض الشَّيء بما لا يشاركُه فيه الجملة، وقد خَصَّهُ بكذا يَخُصّه، واختصّه يختصّه، قال: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾، يُريدُ: اختصَّك وتَفضَّل عليك وعلى أُمَّتِك، بدينه ورحمته[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 2/471، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/653.
(2) ابن منظور، لسان العرب: 7/25.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 5/360، والرّاغب، المفردات: (خصَّ).

2) ﴿بِرَحۡمَتِهِۦ﴾: الرَّحمَةُ مِنَ اللّه إنعامٌ وإفضالٌ، ومِن الآدميِّين رِقَّة وتَعطُّف، والرَّحمَةُ منطويةٌ على معنيين: الرِّقّة والإحسان، فركَّز تعالى في طبائع النَّاس الرِّقَّةَ، وتفرَّد بالإحسان، فصَار كما أنَّ لفظ الرَّحِم من الرَّحمة، فمعناه الموجود في النَّاس من المعنى الموجود للّه تعالى، فتناسَب معناهما تناسبَ لفظيهما[1]، والرَّحمةُ هنا عامَّة بجميع أنواعها، أو النُّبوةُ والحكمةُ والنُّصرةُ، اخْتُصَّ بها محمَّدٌ ﷺ [2].

3) ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾: المشيئة: أصلُها مِن شيءٍ، والشَّيءُ اسمٌ للموجود، والمَشيئةُ قصدٌ إلى اتِّخاذ الشَّيء، ثُمَّ يُقال: شاءَ اللّه كَذا، أي: أَوجدَهُ بعد أن لم يكن موجودًا؛ فالمشيئةُ مِن اللّه تعالى إيجادُهُ، ومِن النَّاس الإصابةُ. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: 30]: تنبيهٌ أنَّ مشيئَتَهم مُرتَّبة على مشيئة اللّه، فلا فِعل يَستقلُّ به العبد[3]، والإنسان لا يعمل خيرًا إلّا بتوفيق اللّه، إذا أراد اللّه أن يهيّئَ له الأسباب، ويفتح له الأبواب، لتحقيق ذلك ونواله، ولا يفعل شرًّا إلّا بخذلان اللّه له، فيوكل إلى نفسه، ويحجب عنه التّوفيق، لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التّكوير: 29][4].

4) ﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾: الزِّيَادَةُ وَالخَيرُ. وَالإِفْضَالُ: الإِحْسَانُ. وَرَجُلٌ مُفْضِلٌ. وَيُقَالُ: فَضَلَ الشَّيءُ يَفْضُلُ، وَرُبَّمَا قَالُوا فَضِلَ يَفْضُلُ، وَهِيَ نَادِرَةٌ[5]. والفَضْلُ في الإعطاء: الزِّيادة على المستحقِّ الَّذي هو العدل، وهو المعبّر عنه بالإحسان في قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النّحل: 90]، وهو من الأسماء المتضايفة، كالكثير والقليل، والكبير والصّغير[6].

5) ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾: نقيضُ الحَقير، وَمُعظَمُ الشَّيْءِ: أَكْثَرُهُ، في أَسمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (العَظِيمُ) هُوَ الَّذِي جاوَزَ قدْرُه وجلَّ عَنْ حُدُود العقول حَتَّى لَا تُتَصَوَّر الإحاطةُ بكُنْهه وحَقيقته. والعِظَمُ في صِفاتِ الأَجْسام: كِبَرُ الطُّول والعرض والعُمْق. وَاللّه تعالى جلَّ قَدْرُه عَنْ ذَلِكَ[7]. ووصف فضله في الآية بالعِظَم، فقال: ﴿ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾؛ لأنَّه غير مُشبهه في

(1) الرّاغب، المفردات: (رحم).
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/546.
(3) الراغب، تفسير الرّاغب: 1/518، والسّمين، عمدة الحفاظ: 2/306.
(4) الواحديّ، الوسيط: 4/432.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل).
(6) الراغب، تفسير الرّاغب: 2/648، و2/649، و1/179.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأثير، النّهاية: (عظم).

عِظَم موقعه ممّن أفضله عليه فضلٌ من إفضال خلقه، ولا يقاربه في جلالةِ خطره ولا يُدانيه[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عــطــاء الــلــه ورحمته، فضلٌ يختصُّ بـه من يشاء من عباده

اللّهُ تعالى يَختصُّ برحمته من يشاءُ من خلقه، فيتفضَّل عليه بالهداية والنُّبوة وأنواع العَطاء، واللّه ذو الفَضل العظيم الَّذي لا حدَّ له[2]، "والاختصاص النّوعي لبعض الرّحمات، لَا يعارضه عمومُ الفضل على خَلقه، ولا عظمة هذا الفضل"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَةُ قَوْلِهِ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ **بَعْدَ قَوْلِهِ:** ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾:

لَا مُنْتَهَى لِإِكْرَامِ اللهِ تَعَالَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

قد يظهر باديَ الرَّأي أنَّ المعنى في قوله تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ هو المذكورُ في الآية المتقدِّمةِ عليها: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٧٣﴾، ولكنَّ دِقَّةَ النَّظم القُرآني وتكاملَه الدِّلالي تردُّ على ذلك، فقد جيءَ بقوله تعالى: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تأكيدًا لما تقدَّم.

والفرق بين هذه الآية وبين ما قبلها: أنَّ ﴿ٱلۡفَضۡلَ﴾ عبارةٌ عن الزِّيادة، ثمَّ إنَّ الزِّيادة من جِنس المزيد عليه، فبَيَّن بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ أنَّه قادرٌ على أن يُؤتي بعض عباده مِثل ما آتاهم من المناصب العالية ويزيد عليها من جِنسها، ثُمَّ قال: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾، والرَّحمةُ المضافةُ إلى اللّه سبحانه أمرٌ أعلى من ذلك الفَضل، فإنَّ هذه الرَّحمة ربَّما بلغت في الشَّرف وعُلوِّ الرُّتبة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/518.
(2) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 59.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1278.

إلى أن لا تكونَ من جنس ما آتاهم، بل تكون أعلى وأَجَلّ مِن أَنْ تُقاس إلى ذلك، ويحصل من مجموع الآيتين أنَّه لا نهاية لمراتبِ إعزاز الله وإكرامه لعباده، وأنَّ قصرَ إنعامه وإكرامه على مراتب مُعيَّنة، وعلى أشخاص مُعيَّنين: جهلٌ بكمال الله في القُدرة والحكمة[1].

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ ﴿يَخْتَصُّ﴾ مَادَّةً وَصِيغَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾:

رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ اخْتِيَارٌ وَاخْتِصَاصٌ

التَّعبيرُ بالفعل المضارع ﴿يَخْتَصُّ﴾ جيءَ به للدَّلالة على التَّجدّد والاستمرار، والرّحمة هنا مثل الخير المنزَّل على رسول الله ﷺ والمؤمنين؛ وذلك إدماج للامتنان عليهم بأنَّ ما نزلَ عليهم هو رحمةٌ بهم، ومعنى الاختصاص جعلُها لأحد دون غيره؛ لأنَّ أصلَ الاختصاص والتَّخصيص راجعٌ إلى هذا المعنى؛ وهو جعلُ الحكم خاصًّا غير عامّ، سواء خصَّ واحدًا أو أكثر[2].

ويحتمل أن يكون ﴿يَخْتَصُّ﴾ هنا لازمًا بمعنى: ينفردُ، أو مُتعدِّيًا بمعنى: يُفْرِدُ؛ إذ الفِعل يأتي كذلك، يقال: اختصَّ زيدٌ بكذا، واخْتَصَصْتُه به، ولا يتعيَّن هنا تعدّيه؛ إذ يصحُّ: والله يفردُ برحمته من يشاءُ، فيكونُ ﴿مَن﴾ فاعلًا، وهو (افْتَعَلَ) مِن: خصصت زيدًا بكذا، فإذا كان لازمًا، كان لفعل الفاعل بنفسه نحو: اضطرَرتُ، وإذا كان مُتعدِّيًا، كان مُوافقًا لفعل المجرَّد نحو: كسبَ زيدٌ مالًا، واكتسبَ زيدٌ مالًا[3].

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَشِيئَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾:

النُّبُوَّةُ اصْطِفَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى

بيَّن الله تعالى أنَّه سبحانه يختصُّ برحمته مَنْ عَلِمَ أنَّه حقيقٌ بها، ولا سيّما الرَّحمة المراد منها النُّبوة، فإنَّ الله يختصُّ بها مَن خَلَقَه قابلًا لها، فهو يخلقُه على صفاءِ سريرةٍ وسلامة فطرة

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/262، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 4/144.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 1/653.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/546.

صالحة لتلقِّي الوحي شيئًا فشيئًا؛ لذلك لم تكن النُّبوةُ حاصلةً بالاكتساب، ولمّا كانت الاستعداداتُ لمراتب الرّحمة من النُّبوة فما دونها غير بادية للنَّاس؛ طوى بساطَ تفصيلها لتعذّره، وَوَكَلَهَا إلى مشيئتِهِ الّتي لا تتعلَّق إلَّا بما علمَهُ واقتضَتهُ حكمتُه سبحانه؛ رفقًا بأفهام المخاطَبين[1].

بَلَاغَةُ تَصْدِيرِ الْجُمْلَةِ بِالِاسْمِ الْأَحْسَنِ ﴿وَٱللَّهُ﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

سَعَةُ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَغَزَارَةُ عَطَائِهِ

تصديرُ الجملةِ بالاسم الأحسن ﴿وَٱللَّهُ﴾ فيه إيذانٌ بفخامة الأمر[2]، ودفعٌ لتوهُّم مَن يظنُّ أنَّ اختصاص بعضهم لضيق الرَّحمة عن العموم، فقال: ﴿وَٱللَّهُ﴾ الَّذي كلُّ شيء دونه، فلا ينقصُ ما عنده ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وفيه تعيظمٌ لِما ذُكِرَ مِنَ النِّعم، مُشيرًا بذلك كُلِّه إلى التَّمكُّن من الإعطاءِ باختيارِهِ وغزارة فضلِه، وإلى القُدرة على الإنجاءِ من حبائل المكر بسَعَةِ علمه[3].

سِرُّ التَّعبير بـ ﴿ذُو﴾ دون (صَاحِب) في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

اللهُ تَعَالَى ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ

الوصفُ بـ(ذُو) أَشرفُ عند أهل المعاني من الوصف بـ(صاحب)؛ لأنَّهم ذكروا أنَّ (ذُو) لا تكونُ إلَّا مضافةً لاسم، فمدلولها أشرفُ؛ ولذلك جاء ذو رعين، وذو يَزَن، وذو الكلاع، ولم يَسْمَعُوا بصاحب رعين، ولا صاحب يزن ونحوها. وامتنع أن يُقال في الصحابي أبي سعيد أو جابر: ذو رسول الله ﷺ، وجاز أن يُقال: صاحب رسول الله[4] ﷺ، فناسب مجيءُ الوصف في الآية بـ ﴿ذُو﴾؛ لإضافته إلى صِفَةٍ عظيمة، والمعنى: ذو فضلٍ يتفضَّل به على من أحبَّ وشاءَ مِن خلقه[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/654.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 4/459 - 460.
(3) الزحيلي، التفسير المنير: 1/254.
(4) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/546.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 6/518.

وممَّا يُؤكِّد الفَرْقَ بين (ذُو) و(صَاحِب) ما ورد في القُرآن في حقِّ سيِّدنا يُونس عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: 87] الآية، وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨﴾ [القلم: 48] الآية؛ فعُدِلَ في موضع عن التَّعبير بـ (صاحب)، فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾، ولم يَقُل (صَاحِب الحُوتِ).

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿ٱلۡفَضۡلِ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تذييلٌ؛ لأنَّ الفَضلَ يشملُ إعطاءَ الخير والمعاملةَ بالرَّحمة، وهو تَنبيهٌ على أنَّ واجبَ مُريد الخير التَّعرّضُ لفضل الله تعالى والرّغبةُ إليه في أن يتجلَّى عليه بصفة الفضل والرَّحمة، فيتخلَّى العبدُ عن المعاصي والخبائث، ويتحلَّى بالفضائل والطَّاعات عسى أن يحبّه ربُّه[1]، وفي الحديث الصَّحيح «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[2].

التَّخَلِّي عَنِ الرَّذَائِلِ وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ طَرِيقٌ لِاسْتِنْزَالِ الْفَضْلِ الْجَزِيلِ مِنَ اللهِ تَعَالَى

نُكْتَةُ وَضْعِ الْمُظْهَرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾:

جاء التَّعبيرُ بالاسم الظَّاهر (الله) في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وكان مقتضى الظَّاهرِ الإتيانُ بالضَّمير؛ لتقدُّم ذكر مرجِعه، فيكون: (يختصُّ برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم)، إلَّا أنَّه وُضِع المُظهَر موضعَ المُضمَر؛ إظهارًا للمهابة بالتَّصريح بالاسم الأحسن ﴿وَٱللَّهُ﴾، وتَنبيهًا على أنَّ تخصيصَ بعض النَّاس بالرَّحمة الخاصّة - وهي النُّبُوَّةُ - دون بعضٍ ملائمٌ لمقام الأُلوهيَّة؛ بخلاف الرَّحمة العامَّة؛ فهي للعُمُوم، فيُناسبُهَا اسم الله تعالى (الرَّبِّ).

اصْطِفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الِاسْمِ الْأَحْسَنِ (الله)

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/654.

(2) رواه أحمد في المسند، الحديث رقم: (2803)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (برقم: 2961).

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ فِي تَعْرِيفِ الْفَضْلِ وَتَنْكِيرِهِ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: 174]:

فَضْلُ اللهِ تَعَالَى خَاصٌّ وَعَامٌّ

جاء في آواخر سورة آل عمران قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: 174]، بتنكير كلمةِ ﴿فَضْلٍ﴾، وتبعَهَا في التَّنكير كلمةُ ﴿عَظِيمٍ﴾؛ لوقوعِهَا نعتًا لنكرةٍ، بخلاف قوله تعالى هنا: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ فقد وردَا معرَّفين.

ووجه ذلك: أنَّه لما كان المقصودُ بالرَّحمة هنا النُّبُوَّة والرِّسالة التي اختصَّ اللهُ بها نَبيَّه ﷺ؛ ناسبه تعريفُ الفَضلِ والوصفِ التَّابعِ له؛ وذلك للخُصُوص، بخلاف الموضعِ الأخير؛ فهو في موضع العُمُوم؛ لمجيئِهِ في سياق تَوابِع أحداث غَزوَة أُحُد، والفَضل فيها عامٌّ للرَّسولِ ﷺ وللمُؤمنين.

سِرُّ وَصفِ الْفَضْلِ بِالْعَظَمَةِ دُونَ الْكِبَرِ:

فَضْلُ اللهِ تَعَالَى عَظِيمٌ وَكَبِيرٌ

الوصفُ إذا كان بلفظ العظيم؛ فإنَّه يكون مُتَّصلَ الإسناد بالاسم الأحسن (اللهُ)، وعندما تكون الإشارة إلى فضلٍ من اللهِ تعالى بغير إسنادٍ مُباشر؛ فإنَّ الوصف يكون بالكِبَر، ومنه قولُ اللهِ تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32].

وإذا كان الشَّيء واسعًا لا حدَّ له كما في الرَّحمة الَّتي قال عنها ربُّنا: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، فإنَّ وصف الفَضل يكون بالعظمَةِ، وإذا كان الفَضْلُ محدودًا يُوصف؛ فإنَّه يوصَفُ بالكِبَرِ؛ ولذا كان المناسب هنا الوصف بالعَظَمَةِ؛ للتَّصريح بالرَّحمة في الآيةِ.ومجموع الوصفين دالٌّ على أنَّ فضل اللهِ تعالى عظيمٌ وكبيرٌ.

الـــرَّدُّ عَـلَى حَسَدِ الْيَهُودِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَعِدَائِهِمْ لَهُمْ

مِنْ عَادَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي ذِكْرِ اخْتِصَاصِ الْفَضْلِ بِهِ:

النَّاظر في هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يجد أنَّ معناها يَرِدُ في الرَّد على حَسَدِ

اليهود للمُسلمين؛ ففي سُورة البقرة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: 105].

وجاءت هنا في سورة آل عمران بعد مواقف اليهودِ المعاندة والمعاديةِ للإسلام والمسلمين، وجاءت أيضًا في سورة الحديد، في قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الحديد: 29]؛ وفيه تنبيهٌ لأهل الإسلام أن يَستَشعِروا هذه النِّعمة وأن يُحافظوا عليها؛ إذِ اليهودُ لا يريدون لهم الفلاحَ ولا النَّجاحَ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الانفِرَاد والاختِصَاص:

الاختِصَاص انفِرَادُ بعض الأَشيَاء بِمَعنًى دون غَيره، كالانفراد بِالعلم وَالمُلك، والانفرادُ تَصْحِيحُ النَّفس وَغير النَّفس، وَلَيسَ كَذَلِك الاختِصَاص؛ لِأَنَّهُ نقيض الاشتِرَاك، والانفرادُ نقيضُ الازدواج، والخاصّةُ تحتَمل الإِضَافَة وغير الإضافة؛ لِأَنَّهَا نقيضُ العَامَّة، فَلَا يكون الاختِصَاص إِلَّا على الإضافة؛ لِأَنَّهُ اختِصَاص بِكَذَا دون كَذَا[1].

النِّعْمَة والرَّحْمَة والرِّقة والرَّأفة:

إنَّ الرَّحْمَةَ الإنعامُ على المُحْتَاج إِلَيهِ، وَلَيسَ كَذَلِك النِّعمَة؛ لِأَنَّك إِذا أَنْعَمت بِمَال تعطيه إِيَّاه فقد أَنْعَمت، وَلَا تَقول إِنَّك رَحِمتَه، والرِّقّة والغلظَةُ يكونَانِ فِي القلب وَغَيره خِلقةً، وَالرَّحْمَةُ فِعل الرَّاحم، وَالنَّاس يَقُولُونَ: رَقَّ لَهُ فرحمه، يجعَلُونَ الرّقة سَبَبَ الرَّحمَة. والرَّأفةُ: أبلغُ من الرَّحمَة؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو عُبَيدَة: "إِنَّ قَوْله ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التَّوبة: 117]: تَقدِيمًا وتأخيرًا، أَرَادَ أَنَّ التَّوكيد يكون فِي الأبلغ فِي المَعْنى، فَإِذا تقدَّم الأبلغ فِي اللَّفظ كَانَ المَعنَى مُؤَخرًا[2].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140، والكفويّ، الكلّيات، ص: 59.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 195، و196.

المَشِيئَة، والإِرَادَة، والعَزْم:

"المشيئة والإرادة هي صفة فعل كلّ فاعل يفعله على الاختيار، نحو أن يقال: شاء فعل كذا، أو أراد أمر كذا، ولا يجوز أن يقال: أمر نفسه بكذا، أو نهى نفسه عن كذا"[1]، ثمّ إنَّ الإِرَادَةَ تكونُ لما يتراخَى وقتُه وَلما لم يتراخَ، والمشيئة لما لم يتراخَ، وَالشَّاهِد أَنَّك تَقول: فعلتُ كَذَا شَاءَ أَو أَبى، فيقابلُ بهَا إباه؛ وَذَلِكَ يكون عِنْد محاولة الفِعْلِ، وَكَذَلِكَ مَشِيئَته إِنَّمَا تكون بَدَلًا من ذَلِك فِي حَاله. والعَزْمُ: إِرَادَةٌ يقطعُ بهَا المريدُ رويّتَه في الإِقْدَام على الفِعْل أَو الإحجام عَنهُ، وَيخْتَصُّ بِإِرَادَة المريد لفعل نَفسه؛ لِأَنَّهُ لَا يجوزُ أَن يعزم على فعل غَيره[2].

العَظِيم والكَبِير:

إنَّ العظيمَ قد يكونُ من جِهة الكَثرة ومن غير جهة الكَثرة؛ ولذلك جاز أن يُوصف الله تعالى بأنَّه عظيمٌ، وإن لم يُوصف بأنَّه كثيرٌ، وقد يعظُم الشّيءُ من جهة الجنس ومن جهة التَّضاعف[3]. والعظيمُ إذا استعمل في الأعيان فأصله: أن يُقال في الأجزاءِ المتَّصلة، والكثيرُ يُقال في المنفصلة، ثمَّ قد يُقال في المنفصل عظيمٌ، نحو: جيشٌ عظيمٌ، ومالٌ عظيمٌ، وذلك في معنَى الكَثيرِ[4].

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 4/400.
(2) المصدر نفسه، ص: 124، والراغب تفسير الرّاغب: 1/518 - 519.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 183.
(4) الرّاغب، المفردات: (عظم)، والكفويّ، الكليّات، ص: 631.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»